إبراهيم محمد حسن الجمل

زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وأسرار الحكمة في تعدد هن

يطلب من : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجبر الآلي
الأزبكية ٣ ميضان الموصلي
بجوار جامع الدهان

إهـــداء

ـ الى الذين يبحثون عن أسرار ديننا الحنيف لاظهار كلمة الله .

ـ الى المرأة المسـلمة فى نهضتها الحديثـة ، راجيا أن تتخذ من سيرة أمهات المؤمنين نورا وهـــداية .

(المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

كتاب « زوجات النبى صلى الله عليه وسلم » كتاب وسط ، جمع بين سهولة اللفظ ، ووضوح المعنى ، وكثرة المعلومات ، يستفيد منه كل من يقرأه ، ويجد فيه تفكيرا جديدا ، ورأيا نافعا — ان شاء الله —

ولقد حرصت أن تظهر الطبعة الثانية خالية من الهفوات التى صدرت من غير عمد ، والتى أشار اليها المخلصون ، واستجبنا لهم من غير تأويل أو ابتداع .

والله أسأل أن يكمل به النفع ، وأن يقتدى المسلمون بأعمال أمهات المؤمنين ، وأن يكون لنا فى سيرتهن العظة والعبرة . والله الموفق .

ابراهيم الجمل

الرجاء عدم اللعب
والكتابة في المكتبة
لأنه يزعج القارئين

Name: Ahmad Mohammad Rasol allah.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

التفكير فى الأديان لا يعتمد على العقل وحده ، لأنها من الأمور الغيبية التى لا مجال للعقل فيها . فالتفكير فيما وراء هذا العالم قد ينحرف بالعقل عن السير فى الطريق الصحيح اليه ، فهو لا يعرف الأصول والقوانين التى يعتمد عليها فيما يوصله الى ما يريد ، فقد يصطدم فى نهاية ما يفكر فيه بحائط سميك يسد عليه المنافذ ، وقد يتشتت فى دوامة تتخطفه آراء وأهواء لا يدرى ما يصدق وما لا يصدق ، لأنه محدود فى تكوينه وفى تفكيره وفى معلوماته مهما يبلغ نموه وتفتحه وقدراته .

انه يشعر بالعجز لأن العالم الذى يفكر فيه قصر عن ادراكه ، فلم يعرف عنه شيئا ، وليس هناك ما يمكنه الاعتماد عليه ليصل الى متطلبه ومبتغاه فمن أراد أن يفكر فى الأديان لابد أن يسترشد الى جانب العقل بالعاطفة والاحساس والشعور والفطرة التى فطر عليها ، كل ذلك يسيطر عليه ويجذبه الى قوة خفية ، وبخاصة حين يكون فى حالة غير طبيعية : كأن تستولى عليه حالة لا يستطيع أن يتحكم فيها ،

كالخوف الشـــديد أو الرهبة أو المرض الذى يعجز عن معرفة دوائه ، انه يتجه الى خالق هـــذه القوة اتجاها لا شـــعوريا يتضرع ويتذلل ليرفع عنه ما نزل به مما لا قدرة له على دفعه ، بل قد ينطق لسانه قائلا : « يارب » نطقا يتفق مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ولعل ما حدث لطيار روسى ، قذف بنفسه من طائرته التى تحترق فلم تنفتح مظلته ، فاذا به ــ وهو الشيوعى المنكر للدين ــ يهتف ، حين أحدق به خطر الموت « يارب » فتنفتح المظلة .. لعل فى هذا أصدق شاهد على استجابة الفطرة لباريها !

لذلك فان من الواجب على الانســـان الذى هو علة هـــذا الكون ، ومصـــدر الهامه ، أن يؤمن ايمـــانا قويا بتلك القوة الخفية ، ولمـــا لم يكن فى مقدوره الاحاطة بتلك القوة ، فان عليـــه أن يؤمن بمن جاءوا ليحدثوه بما وراء الغيب ومعهم من المعجزات التى لا يستطيع البشر أن يأتى بمثلها ، والتى تواترت الأخبار بها ولا يزال بعضها بين ظهرانينا[1] .

ومن الذين وهبوا الأمور الخارقة ، ودعوا الى الايمـــان بالله واليوم الآخر والملائكة ، كما دعوا الى المثل العليـــا التى تعود على الانســـان بالخير العميم فى الدنيا والآخرة ، أنبياء الله ورسله موسى وعيسى ومحمد عليهم الصـــلاة والسلام .

---

(١) لا يزال القرآن الكريم معجزة الاسلام الخالدة .

هؤلاء نالوا درجة رفيعة ومنزلة سامية ، فلا يصح أن ننظر اليهم نظرتنا للرجل العادى ، بل ننزلهم منزلة تليق بمن أرسلوا لهداية الناس والسير بهم الى الصراط المستقيم ، فلا نتناول أعمالهم بالنقد والتجريح .

فليس لنا مثلا أن نقول : كيف خلق الله عيسى عليه السلام ؟ متناسين أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقه وأنه خلق من قبله آدم ـ عليه السلام ـ بطريقة يعجز البشر عن معرفتها .

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(١) .

أو نقول لماذا لم يتزوج النبى عيسى عليه السلام طيلة حياته ؟ نحاول أن ننال منه أو ننقص من منزلته لأنه سار على سنة غير سنة البشر .

« ذلك عيسى ابن مريم ، قول الحق الذى فيه يمترون »(٢) .

فهذا ومثله ينبغى أن نرده الى خالق الأرض والسماء ، ولا نسمح لعقولنا القاصرة أن تفكر فيه تفكيرا سلبيا الا اذا كان التفكير يهدينا الى سبب وحكمة تنير لنا الطريق لمعنى سام وغاية نبيلة .

* * *

---

(١) آل عمران : ٥٩ . (٢) مريم : ٣٤ .

ولا يحق لنا أن نأخذ على النبى موسى عليه السلام مأخذا حينما ضرب الرجل المصرى الذى كان يتقاتل مع الاسرائيلى فقتله .

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذىمن عدوه فوكزه موسىفقضى عليه»(١)

فهذا لحكمة أرادها الله تعالى وموسى ــ عليه السلام ــ فى بداية دعوته .

أو حينما غضب وأساء الى أخيه هارون فلم يتمالك نفسه ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه كما أخبرتنا الكتب المقدسة ، وكان فى طبيعته ــ عليه السلام ــ بعض الحدة التى لا تنفر .

« قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى »(٢) .

فما فعله النبى موسى ــ عليه السلام ــ لا ينبغى أن نصفه بصفة تقلل من قدره ولا من مروءته .

وليس لنا نحن البشر أن نفوه بكلمة نقد تجاه خاتم النبيين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه تزوج وقد

---

(١) القصص : ١٥ . (٢) طه : ٩٤ .

تجاوز الخمسين أكثر من عشر نساء ، وهى سن قد ينصرف الانسان فيها عن الرغبة الجنسية الى عاطفة فيها شىء من التعقل ، فلا يليق بانسان مهما يكن تفكيره أو ادراكه وفهمه أن يقول ان النبى محمد صلى الله عليه وسلم تزوج هؤلاء النسوة ، وهو فى هذه السن وعيشه عيش الكفاف والزهد ، لأنه كان مغرما أو مشغوفا بالنساء .

فلم يكن زواجه بهؤلاء الا لحكمة أرادها الله وتنفيذا لأمر منه اما صريحا كما فى قصة زواجه بزينب بنت جحش — رضى الله عنها — واما ضمنا كما فى زواجه بغيرها ، لذلك نجد رب السماء ينهاه ، وقد قارب الستين عن الزواج مهما تكن الأسباب .

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شىء رقيبا »(١) .

* * *

ولقد بدأت الكتاب بتمهيد بينت فيه أن ما أتى به الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — لم يكن بدعا من الرسل فقد تزوج كثيرون منهم أكثر من واحدة .

وكانت أول من تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد — رضى الله عنها — وكانت ذات عقل وجمال

---

(١) الأحزاب : ٥٢ .

ومال ، فساعدته على فترة ما قبل الرسالة ، وهى أصعب بكثير مما بعدها لأن تلك الفترة كانت فترة استعداد وتمرين لتحمل أمر رب السماء ، وهو ليس بالهين ، فلا يستطيع الانسان أن يسمو بروحه الا بترك الدنيا والانقطاع للعبادة والتخلص من المادية والاتجاه الى ما يساعد على صفاء الروح • وقد ساعدته الزوجة الوفية رضى الله عنها على ذلك كله ، فلم يحدث ما يعكر صفو الرسول أو يؤخر من صعوده الى مهمته ، حتى جاءه الوحى فآمنت به وصدقته وظلت تدافع عنه أعداء الدعوة حتى صعدت روحها الطاهرة الى الرفيق الأعلى•

***

ولقد أشفق أصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليه وأهمهم ما فيه من حزن ، فوكلوا الى صحابية جليلة تدعى خولة بنت حكيم أن تختار له من تساعده فى بيته ، فاختارت له أرملة ليست جميلة توفى عنها زوجها ، وخطبت له عائشة بنت أبى بكر ــ رضى الله عنهما ــ وأخبرت النبى بموافقة والديها فوافق النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذهبت اليه •

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما ــ تكريما لوالدها ، فقد عرضها أبوها ، بعد موت زوجها ، على أبى بكر وعلى عثمان ــ رضى الله عنهما ــ فامتنعا وبسببها نزل كثير من القرآن ، وبعدها تزوج زينب بنت خزيمة

ـ رضى الله عنها ـ وكان زوجها قد استشهد فى غزوة أحد • وتزوج أم حبيبة ـ رضى الله عنهـا ـ التى توفى زوجها فى الحبشـة ، وتولى العقد النجاشى حاكم الحبشـة ، ثم ميمونة ـ رضى الله عنها ـ وغيرها • ولعل من أشهر نسائه صفية ـ رضى الله عنها ـ التى حارب النبى أهلها حينما نقضوا العهد ، وقتل فى المعركة زوجها وعمها وأبوها ، ولكنها أحبت النبى صلى الله عليه وسـلم ، ويظهر ذلك الحب الشـديد حينما نزل به المرض فحزنت وبكت ، وقالت مخاطبة النبى الـكريم : « انى والله يا نبى الله وددت الذى بك بى » •

* * *

ثم بينت الحكمة من تعدد زوجات النبى محمد ، صلوات الله وسـلامه عليه ، بعد أن توثقت الصـلة بينه وبين ربه ، وأصبح اختيـار هؤلاء الزوجات لمصلحـة الدعوة ، وليس لشخص محمد ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فائدة تذكر من الجمع بين هـذا العدد ان لم نقل انه صادف بعض المتاعب من جراء تلك الكثرة ، وما نراه سـببا لذلك الا ليكون دليلا على صدق دعوته الى الاسـلام ، وأن هـذه الدعوة من عند الله ، فالزوجة أقرب الناس الى زوجها ، ومن سـيرته تعرف عاداته وطباعه وكذبه وصـدقه واحتيـاله واخلاصه ، فلو كانت واحدة فقد تكذب أو اثنتين أو ثلاثا فقد ينافقن ، وقد يجوز ذلك اذا كن أربعا أو خمسـا ، أما اذا كن أكثر من عشر

فان ذلك يكون مستبعدا ، وبخاصة أن منهن من قتل زوجها وعمها وأبوها فى الحرب فلو كان محمد ــ وحاش لله ــ دعيا أو كذابا أو منافقا ، فهل يمكن لمثل صفية ــ رضى الله عنها ــ أن تترك أهلها ومن بقى من عشيرتها لتكون مع هــذا الأفاق مثلا ؟ كلا • وكذلك بنت أبى سفيان وجويرية بنت الحارث رضى الله عنهما •

فلو أن هؤلاء رأين أدنى شىء يدل على كذب النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لتركنه وأسرعن الى ذويهن لينشرن كذبه وكهانته لكنهن آمن به وأخلصن له ، وتعاون معه على نشر الدعوة ، فكان هــذا الاجماع دليلا واضحا على صدق النبى محمد ــ صلى الله عليــه وسلم ــ وأن دعوته من عند خالق السماء والأرض وأن ما يقوله صادق فيه •

ولم يكن فى بيت النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نعيم أو رفاهية حتى يتمســكن بالحيــاة معه ، بل غالبا ما يمر اليــوم وهن صائمات لا يجــدن ما يأكلن ومع ذلك فضــلن الحيــاة معه •

* * *

ومن حكم التعدد أيضا أن نتعلم من النبى محمد صلى الله عليــه وسلم خلقه العظيم فى معاملة الزوجة ، فلم يؤثر عنه أنه أهان زوجة أو سبها أو كلمها كلمة نابية ، بل كانت معاملته مثلا أعلى يقتدى به • ويظهر هــذا الخلق العظيم حينما اتهمت عائشــة ولاكتها الألســنة ، وانتشرت الشائعات

حولها وتناقلها الناس من مكان الى مكان • وغضب النبى وراح يسأل ويناقش وعائشة معه ، ولم يرض أن يكون أول ناقل للخبر السيىء فقد يكون الخبر كاذبا ، وكان بها رؤوفا رحيما حتى أنزل الله ببراءتها قرآنا يتلى •

وكثيرا ما كان يوصى بالنساء خيرا فى كثير من أقواله ومساعدته لهن فى البيت دليل واضح •

ولقد كان للزوجات حرية الكلمة والتعبير عن الرأى بكل شجاعة ما دام ذلك لا يغضب رب السماء أو يمس شعور الأخريات • وكثيرا ما كان يردهن بالحسنى • وقد يغضب أحيانا ويظهر ذلك على وجهه ، ولكنه يسرع فيستغفر الله ويطلب ممن أساءت التوبة والرجوع الى الله •

* * *

وهناك حكم أخرى لتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام : منها ادخال السرور على قلوب النساء اللائى مات أزواجهن فى الجهاد والقتال فى سبيل الله ، وذلك بتقريبهن اليه بالزواج •

وأيضا مساعدة من مات أزواجهن على تربية أولادهن وكان لهم سبق الاسلام •

وبجانب هذا فقد كان نشر قواعد الاسلام يقتضى أن تكون له زوجات كثيرات ينقلن عنه تعاليم رب السماء ، وزوجة النبى أقرب الناس وأولى بمعرفة الكثير من الأحكام ، وبخاصة الأمور التى لا يستطيع نقلها الا الزوجات •

ولما مات النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت بيوت الزوجات مراجع يأتى اليها المسلمون ليتعلموا الدين ، فكانت الزوجات تروى كثيرا من أحاديثه وكلامه وتربيته .

ثم نرد على شبه المغرضين والمتعصبين الذين يرمون النبى محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما ليس فيه ، ويصور لهم قصر عقولهم اتهامات نرى أن الرسول برىء منها .

ونختتم الكتاب بما روى عن معيشة النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وخلو بيته من مقومات الحياة راضيا بالقليل كما علمه رب العالمين . ولا يمكن لمن ابتعد عن ملاذ الطعام والشراب والملبس والفراش أن يلتفت الى التمتع بملاذ الحياة .

ولقد أجمعت زوجاته ــ رضى الله عنهن ــ على أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه فليس فى حياته أى مطلب للدنيا ، وانما كان منشغلا بالحياة الآخرة بعد الموت وما يدخره الله له من النعيم فى الحياة الثانية ، وما ذلك الا لأنه أرسل من الله لهداية الناس . فما أحوج البشرية الى دراسة خلقه والاقتداء به حتى يعيش الناس متآخين متحابين .

والله أسأل أن يوفقنا لاظهار أسرار دينه الخالد على مر الزمان والأيام .

ابراهيم الجمل

الزوجـــات

تمهيـــــد :

تزوج النبى محمد ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ أكثر من عشر نســـاء لمصلحة الدعوة واتباعا لأمر الله عز وجل وســـيرا فى الطريق الذى سار فيه الرسل والأنبيـــاء من قبل .

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله »(١) .

وان عقولنا نحن البشر لا تعد الزواج نقصا فى حق العظماء والحكماء الذين نبغوا فى العلم والاختراع والقيادة ، فكيف يكون ذلك نقصـــا فى حق من أرســـلهم الله لهداية البشرية الى الطريق المســـتقيم .

ولم يكن الرســـول الأعظم مبتدعا فيما جاء به ، ولقد خاطبه الله سبحانه وتعالى فقال :

« قل ما كنت بدعا من الرســـل وما أدرى ما يفعـــل بى

---

(١) الرعد : ٣٨ .

ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين»(١) .

وقديما تزوج رسل وأنبياء قبل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأكثر من واحدة فابراهيم ــ عليــه السلام ــ جمع بين سارة وهاجر ، ويعقوب ــ عليه السلام ــ تزوج راحيل ، وبلهة ، وليئة ، وزلفة .

ويروى أنه كان لداود عليــه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية . ولسليمان بن داود ــ عليهما الســلام ــ سبعمائة من النســاء وثلاثمائة من السرارى .

وسنعرض شــيئا من ســيرة زوجاته عليه الصــلاة والسلام ، ثم نأتى بعد ذلك بالحكمة من هــذا الزواج .

* * *

(١) الأحقــاف : ٩ .

السـيدة خديجة (رضى الله عنها) (*)

جاوز محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العشرين ، فأينع صباه ، واكتمل شـبابه ، وسـيم الطلعة نبيل الملامح ، متدفق الرجولة ، تعلو وجهه المشرق مسـحة الحزن لفقد الأم والأب والجـد .

أصبح محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتى ، يغمره عمه أبو طالب بالحنان والحب ، ويفيض عليـه من العطف الذى يخفف عنه كثيرا من الآلام التى تعترض تفكيره ، فكان ينير له الطريق بخبرته وتجاربه .

كان يرعى الغنم والابل فى صـغره ، وكان ينطلق وراءها يحرسها ويرعاها . أما وقد كبر وما عاد يصلح لهذا العمل ، فقد فكر له عمه فى عمل يدر ربحا أكثر ويعود عليه بالخير والمنفعة ، ويتفق مع ما يتحلى به محمد من صفات وما تجمل به من خلق ، فقال له يوما :

« ان خديجة بنت خويلد ــ رضى الله عنها ــ لها مال ورجال

(*) سوف يظهر ان شاء الله كتابنا الخاص بالسـيدة خديجـة رضى الله عنها .

يتجرون لها ويصيبون المنافع ، وهـذه عير قومنا أخذت تستعد للخروج الى الشـام ، وأنت ـ يا ابن أخى ـ تصلح لهـذا الأمر ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لمـا عرف الجميع عنك من الطهارة والأمانة » .

وافق الفتى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما ارتآه عمه ، وسرت خديجة أعظم سرور بانضمام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشـاب المثالى الذى لا تنقطع منتديات مكة عن ذكر مآثره والثناء عليـه ، الى رجالها ، بل لقد شغلها بما جبل عليـه عنهم ، أجمعين ، لذلك فقد فضـلته ووعدت بأن تعطيه ضعف ما كانت تعطى غيره ممن استأجرتهم من قبل .

* * *

سارت القافلة ، وكان فى رفقة محمـد غلامها ميسرة ، ورأى الغـلام من محمد ما أعجبه وأدهشـه ، أمانة واخلاصا ورجـولة وصبرا وجدا وحكمة ، بل رأى ما يذهل العقـل ويثير الوجدان .

قالوا : عندما قدم محمـد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ الشام نزل فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب الى ميسرة ، وقال : من هـذا الرجل الذى نزل تحت الشـجرة ؟ فقال ميسرة : هـذا الرجل من أهل مكة ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هـذه الشجرة قط الا نبى .

باع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلعته التى خرج